

العلمانية وخطرها على الدعوة الإسلامية

بقلم

د/ إبراهيم عبدالرحمن عتلم

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

لجنة التحكيم

د.أ/ محي الدين الصافي

د.أ/ عوض الله حجازي

العلمانية

وخطرها على الدعوة الإسلامية

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ..
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. ومن تبعهم وسار على ذريتهم إلى يوم
الدين.

وبعد

فلقد جاءت الدعوة إلى الإسلام بأمر من الله واختيار لصفوة خلقه - سيدنا
محمد - ﷺ .. لتنتقيمة المجتمع من الشرك وتخليصه من عبودية التقليد ،
وروض الرسول ﷺ هدفه وغايته بأسلوب رفيع كريم ، وتبرأ من كل غرض مادي ،
وعرض دنيوي يتنافس عليه بين البشر ، وقد أعلن النبي ﷺ رفضه لكل مساومة
تصعد بالرسالة إلى غير هدفها الأسمى ..

ولكن هذه الدعوة واجهت مجابهة قاسية ، وخصومة عاتية من أقرب الناس
إلى الداعية .. واتسعت هذه الدائرة .. واشتد الخلاف مع كل عصر بما يناسبه
وذلك لأن الناس مختلفة الأهواء والاتجاهات فيما يحقق لهم نفعاً عاجلاً وتلك
سنة كونية : « وَكَوْشَاءَ رَبِّكَ لِتَجْعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً .. وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا
مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ .. وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ .. » (١) ، فاختلاف الناس لحكمة عليها أرادها
المخالق سبحانه لما فيها من تجليه للحق .. وحركة دائية في صراجهته للباطل ..
ليهلك من هلك عن بينة .. ويحيي من حي عن بينة .. : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ
أُمَّةً وَاحِدَةً .. وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ .. وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .. وَنَسْأَلُكَ عَمَّا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ » (٢).

١- سورة هود آية ٦٨ ، ٦٩ .

٢- سورة النحل آية ٩٣ .

ومن هنا كان لكل أمة خصائص تميزها عن غيرها .. وذلك بسبب ما مرت به من ملوك ومحارب نبعت من ظروفها : الاجتماعية .. والثقافية .. والاقتصادية .. والتاريخية .. وقبل كل ذلك " العقيدة " التي تطبع الأمة بطابع مميز .. أو نمط خاص للذوق الحضارى.

والغرب تميز فى نموه وتقدمه بالمادية وارتبط بفصل الدين عن الدولة ، بخلاف الشرق الذى تميز بالتقدم المادى الروحى لارتباطه بالدين.

« أسباب ظهور العلمانية :

ولقد كان التقدم العلمى والفكرى الغربى ثمرة جهود عدة قرون من التنوير والنهضة من مفكرى أوروبا فى المنهج الذى يجب أن يتبعوه للنهوض بهلادهم .. وكانت العلمانية هى جوهر منهج الغرب فى التقدم والتحضر بمدخلات من الصراع اختلفت فى المصور الحديثة ليضاف إليها أسباب أخرى ظهرت فى القرون الوسطى جعلت من الإنسان الغربى يتخذ موقف العنافة ، تجاه الدين ورجالہ ، وهى التى مهدت لظهور العلمانية فى بداية التاريخ الحديث للغرب .. ويرجع ذلك إلى الأخطاء التى ارتكبها رجال الدين - وليس الدين نفسه - والتى تتمثل فى :

- الخبز على العقول .. وتكبيد كل إبداع فكرى .. وكل كشف علمى.
- الخبز على القلوب المتمثل فى صكوك الغفران .. وقرارات الحرمان .. ومحاكم التفتيش .. والصجون.
- تحالف الكنيسة مع الظالمين والمستغلين للشعب.
- تحريف المسيحية .
- اضطهاد الأقليات الطائفية ، المتمثل فى حروب الكاثوليك والبروتستانت .. والمتمثل أيضا فى اضطهاد اليهود من قبل الدول الأوروبية ككل.

واقطة الحركة اليهودية ، وذلك لأن إبعاد الدين عن المجتمع الغربي يعنى إبعاد المسيحية ، وقيام الدولة على مفهوم القومية ، وهذا يعنى السماح لكل الأديان بالعيش فى وطن واحد .. ويعنى أيضا مشروعية الوجود اليهودى ، لهذا فقد زكى اليهود وساعدوا كل حركات البعد عن « الطابع الدينى للدولة » وعندما فتح عصر التنوير دخل اليهود المجتمع من أوسع أبوابه.

وحدث صدام بين رجال العلم والحرية من ناحية والكنيسة من ناحية أخرى .. وكان قويا بنفس درجة قوة تسلط الكنيسة على المجتمع الغربى فى القرون الوسطى ..

لم نشطت الحملات العدوانية ضد الإسلام الذى رأى فيه الغرب قوة تهدد أوروبا المسيحية فى عقر دارها .. حيث غلب النصرانية فى الشرق .. وقد بدأ يغلبها فى الغرب أيضا .. فأعدوا العدة لصد تيار الإسلام بمحاولات تفريب شعوبه عن دينهم .. وبيئاتهم ، ومحاربة الدين بالافتراء عليه .. وبالطمع فيه .. بعد فشلهم فى الجناح العسكرى بالحملات الصليبية التى وجدت صلفوف المسلمين ، وقضت على الخلاف وعوامل الشقاق ردها من الزمن لمراجعة الخطر الزاحف عليهم من أوروبا ، فتنحى الغزو الأوروبى للهلاك الإسلامية طرقا أخرى منها : إثارة الخلافات بين الأوساط الإسلامية .. وإشاعة الشكوك فى وحدة المسلمين .. واستخدام من يمكن إغراقهم من مسيحى الشرق فى تنفيذ سياسة الغرب .. الاستشراق والتبشير .. الصحافة .. دوائر المعارف والموسوعات العلمية والتعليم .. وغيرها .

حتى أصبح العالم الإسلامى مُحاطاً بموجات براقة وخادعة .. ومستعمرة من التشكيك فى قدراته .. وفى دينه .. ليتحلى من إيمانه القوى .. ويصبح فريسة لقوى الشر الخادعة ، وانتهالت المعارك المتعددة والحادة تواجه المسلمين ، تارة من

المخارج وتارة أخرى من الداخل تحت دعاوى المذهبية .. والطائفية .. أو هما معاً ،
وساعد على ضراوة هذه المعارك التنسيق الواحد بين قوى الشرق والغرب ضد كل
ما هو إسلامي .

وهكذا زحفت الأخطار من كل صوب بتخطيط حاد على الإسلام ؛ دينياً ..
وسياسياً .. وثقافياً .. واجتماعياً .. واقتصادياً ... الخ ، ومنها :

«العلمانية» التي وفدت لتفريغ العالم الإسلامي من محتوى عقيدته التي
يؤمن فيها الخطر عليهم .. والعائق لتحقيق أهدافهم .. « يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ
اللَّهِ بِأَقْوَامِهِمْ .. وَيَأْتِيَ اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورِهِ وَكَرَّ كَرَمَ الْكَافِرُونَ » (١) .. « هُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ .. وَكُفِّي بِاللَّهِ
شَهِيداً » (٢) .

فالهمة شاقة ، والطريق محفوف بالمخاطر ، ويجب على الدعاة أن يكونوا
دائماً على استعداد لمواجهة الأخطار أو العقبات ، والتصدى لها ، والرد عليها ،
لأنهم يعيشون في الحق الذي شرفهم الله به ، ويعتدون بنوره ، ويسهرون على
ضوئه « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنِّي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ » (٣) ، ويستعينوا بالتحمل والصبر الجميل ، حتى يتحقق لهم النجاح
والوصول للهدف النبيل « فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَلْذِيقْ يَذْوَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَمَا كُنْتَ
بِهِ الْأَرْضِ .. » (٤) ، وعلى الله قصد السبيل وحلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم .

د/ إبراهيم عبد الرحمن عليم

١- سورة النور آية ٢٢ .

٢- سورة القمق آية ٢٨ .

٣- سورة فصلت آية ٢٢ .

٤- سورة الرعد من الآية ١٧ .

تهديد :-

* العلمانية والتعريف بها :

من الأسلحة التي يستخدمها أعداء الإسلام في تضليل المسلمين وإبعادهم عن الدين ، والتشويش على الدعوة الإسلامية في العصر الحديث «العلمانية» وهي دعوى خبيثة وخطيرة ولقدت من العالم الغربي إلى العالم الإسلامي بهذا فصل الدين عن الدولة .. هذا الشعار الذي ساد أوروبا في العصور الوسطى ، حيث تسلط رجال الكنيسة على العقل الأدي ، وساد سلطان الكنيسة على الحكام والعلماء ، وكان الصراع بين الكنيسة ورجال الحكم ، فتأذى البعض بفصل الدين عن الدولة .. ولا يعني هذا إنكار الدين .. لأن إنكار الدين هو الإلحاد يعنيه .. ولكن مفهوم فصل الدين عن الدولة .. يعني حصر الدين وحصر سلطانه داخل جنون الكنيسة فلا يمتدّها إلى المجتمع أو الدولة .. وهذا ما تعنيه العلمانية» (١) إذ في ظلّها يمكن ممارسة الشعائر الدينية داخل المعبد لا يتعداه .. والدليل على ذلك أن أوروبا التي نشأت فيها العلمانية تمارس فيها الشعائر الدينية داخل الكنيسة .. ولا يسمح للكنيسة بممارسة ما كانت تمارسه من قبل في المجتمع أو الدولة (٢).

ومن ثم جاء معنى العلمانية على هذا النحو .. لأن الذين وضعوا هذه الكلمة .. لم يفهموا من معنى الدين والعلم إلا ما يفهمه الغرب المسيحي منها

١- لفظة العلمانية مشتق من العلم بمعنى : العالم أو الدنيا - وهي غير العلمانية من العلم .. ولذلك لا صلة لها بالعلم ومشتقاته ، وزيادة الألف والتون غير قياسية في اللغة العربية - وإنما جاءت منها تم كشرت في كلام المتأخرين كتقولهم : روماني وجسماني ، والترجمة الصحيحة لكلمة علمانية هي : اللادينية أو الدنيوية لا يعني ما يقابل الأخرى بحسب بل يعني أخص .. وهو ما لا صلة له بالدين. من (دلائل النبوة ومعجزات الرسول ﷺ) د. علي عبدالحليم محبته المقدمة.

٢- آخره : على الانهاك في الفكرية المعاصرة ١ د / جمعة الخولي ص ٨٢.

.. والعلم والدين - في مفهوم الفكر الغربي - متضادان متعارضان .. والقصد من ذلك كله التشويش على المسلمين وخداعهم ، وطمس الحقيقة لدينهم ، ودس السم في العسل لاستدراجهم عن طريق العلم الذي ينسبونه إلى العلمانية ، ليتم ذلك بالطريقة الغربية التي تقصى الدين عن الحياة وعن العلم معا ، وعندئذ يتمكنون من إبعاد المسلمين عن دينهم شيئا فشيئا (١١) .

✽ تعريف العلمانية :

من العرض السابق يتضح أن مفهوم العلمانية هو : أنها نظام مؤلف من مبادئ ومجارب فلسفية تقوم على عزل الدين عن السياسة والدولة في الحياة في سائر جوانبها .

والعلماني : هو الشخص الذي لا يطبق الدين في السياسة ولا في شئون الحياة كافة . (١٢)

ولا نستطيع أن نفهم هذا المعنى ولا الهدف من العلمانية إلا إذا تعمقنا ظروف نشأة العلمانية .. والأسل التاريخي لها ، ومن هذه الظروف وتلك النشأة يتبين للدارس مدى خطر العلمانية على الدعوة الإسلامية ليس فقط في العالم الغربي بل إن هذا الخطر يمتد حتى يشمل كل بلد إسلامي ..

وحين نتعمق نشأة العلمانية وظروفها التاريخية فما ذاك إلا لكي نرد تلك الترهات والأباطيل التي يرددوها أعداء الإسلام للنيل من دعوتهم بالفصل بين الدين والدولة .. أو أنه لا دين في السياسة ، ولا سياسة في الدين .. تلك الشعارات التي رُوِّجت وسادت في المجتمعات الإسلامية حين غاب الوحي الإسلامي ، وفطن بعض المسلمين بتلك الشعارات التي وفدت إليه عن قصد من الديانات الأخرى .

١- (نشأة العلمانية ودورها في المجتمع الإسلامي) د. محمد زين الهادي ص ٢٢ وما بعدها .

٢- العلمانية .. الأثر والنشأة في الشرق والغرب ص ٦٢ ذكريا خالد .

« الأصل التاريخي للعلمانية وظروف نشأتها »

إذا أردنا أن نؤرخ للعلمانية وظروف نشأتها نجد ذلك بدأ سنة ١٠٥٤ م عندما حدث اشتاق كنسي في النصرانية كان له أثره الخطر على النصرانية من جهة ، وعلى الأوروبيين من جهة أخرى .. حيث ظهرت الكنيسة الكاثوليكية بتعاليمها التي أطلقتها عليها « الإرادة البابية »^(١) أو « النظام البابوي » ونوجزها فيما يلي :

- أن لا يعلن في الكنائس باسم أحد غير الباب ولا يلاح على الأرض بذكر أحد غيره.

- أن لا يباح لأحد غير البابا مبايعة القياصرة والأباطرة وتوليبتهم.

- للبابا وحده سلطة تعيين الأساقفة وهزلهم.

- للبابا وحده سلطة عزل الأباطرة.

- ليس لأي فرد أن يلغى قراراً بابوياً ، في حين أنه من حق البابا أن يلغى قرارات بقية الناس.

- للبابا الحق في محاكمة جميع الناس ، وليس لأحد الحق بمحاكمته.

- لا يسأل البابا عما يفعل « ولا يحاكم على تصرفاته ».

هذه هي الأوامر البابوية التي أصدرها جريجوري السابع سنة ١٠٧٤ م -

١- كلمة « بابا » كلمة شرقية مركبة من « آب أب » ثم درجت وتختلت بلفظ « بابا » وتعمل إنها : يونانية الأصل مأخوذة من « باباس » ومعناها ، « الأب » أي الذي يرجع إليه في الأمور كلها ، وكان يطلق على القسوس والأساقفة قديماً .. أما الآن فهو لقب مخصوص للبابا الذي يجلس على كرسي كنيسة روما ، وإن كان يطلق على « بابا » الإسكندرية مصر .. أنظر تاريخ الاشتاق ج٢ ص ٢٠ ، والمجامع المسيحية ص ٣٤٤ ، / محمد رجب الشبيري-

وعليه وجه جريجورى السابع مجمع روما الدينى سنة ١٠٧٥م نحو اتخاذ قراراً
حاسماً بشأن التقليد العلمانى . (١١)

وهذه القرارات لا تحتاج إلى تعليق لبيان فسادها حيث تجعل البابا فوق
الجميع لا يسأل عما يفعل .

* أسس التقليد العلمانى :

١- أن أى فرد من الآن فصاعداً يتقلد مهام وظيفته الدينية من أحد الحكام
العلمانيين (١٢) . . يعتبر مطروداً من هذه الوظيفة ، ومحروماً من الكنيسة .
ومن رعاية القديس .

١- التقليد العلمانى : يراد به : قيام الحكام العلمانيين من أباطرة وملوك وأحرار ، بتقليد رجال الدين
لمهام مناصبهم الدينية ، وهى مشكلة كبيرة كانت الكنيسة تعانى منها ، ومن المسموعة وهى :
تحويل رجال الدين فى الوظائف الكنسية بطريقة بيع هذه الوظائف لمن يدفعون فيها ثمناً غالياً ،
كما أدى إلى إساءة سمعة البابا - خاصة بابا الكنيسة الكاثوليكية فى العصور الوسطى ، راجع
(أولاً العصور الوسطى فى الشرق والغرب ج ١ ص ٨٦ ، ٢ / حسن إبراهيم - ٢ / أحمد
الصادق الططاوى .

أسس البابوية فهى نظام كنسى ركز السلطة العليا باسم الله فى يد البابا ونصر حق تفسير
والكتاب المقدس على البابا وأعضاء مجلسه ، وسرى الاعتبار بين نص الكتاب المقدس
ومفاهيم الكنيسة الكاثوليكية . . ومن ثم أدخل هذا النظام كثيراً من التعاليم فى الكنيسة
وأهمها : صكوك الغفران - عصبة البابا - الاحتراف بالخطأ - والرعية : والعشاء الربانى . .
إلى آخر ما تصل بالكنيسة الكاثوليكية كنظام لاهوتى . . ألغى الفكر الإسلامى الحديث وصلته
بالاستعمار الغربى ، ٢ / محمد البهى ص ٢٤٩ .

٢- الحكام العلمانى : يقصد به الحكام السياسى والمراد به آنذاك الإمبراطور وملك فرنسا والمجتمعات
الغربية . أنظر تاريخ الفلسفة الغربية ج ١ ص ٢٠١ - والعلمانية تنسب على وجه قبح إلى
العالم أو العالمية وهى : نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض كل صورة من صور الإيمان الدينى
والعبادة . أو هى : الاعتقاد بأن الدين والشئون الإكليريكية اللاهوتية والكنسية ، لا ينهض أن
تدخل فى أعمال الدولة - والشحول إلى العلمانية هو التحول من الملكية الدينية إلى الملكية
الدنية - أو من الاستعمال الدينى إلى الاستعمال الدنى . راجع : العلمانية والإسلام بين الفكر
والتطبيق ، ٢ / محمد البهى ص ٤ دة الطباعة المحدثة .

٢- وإذا أجاز ومبرطور أو ملك أو ما شاكل ذلك من مناصب دنيوية ، تقليد أحد رجال ، دين مهم وظيفته دنيوية فإنه يحرم من الكنيسة فوراً^(١)

وبهذه التعيينات على رجال الدين من إشراف المدارس والأمراء وجعل البابا في روم إشراف الوحيد على رجال الدين في العالم المسيحي ليعبر في نفس الوقت أنذر بصدام عنيف مع لحكم لعلمانيين . إذ رفض ملك المجترة لاعتراض ببدلة لاهوتية وتبعية لها في حين لم يعها ملك فرنسا بأمر . لها رعباته ، أما أباطرة ألمانيا فكان من الطبيعي أن لا يقبلوا قرارات جريجوري السابع بصفته والتي نفس سباحتهم وشرائعهم على رجال الدين في بلادهم.

وهكذا أوشكت البابوية عن طريق هذه الخلافات أن تقع في نزاع وصدام عنيف مع السلطة الزمنية^(٢).

ولذلك فإن السعي لحل مشكلة لتقيد العلماني أوقع الكنيسة في صراع عنيف مع السلطة العلمانية وهو صراع الذي يطبق عليه « لتراع بين لاهوتية ولامبرطورية في المصور الوسطى »^(٣) أو حرب لتقيد العلماني وأشعلت هذه مشكلة لتارب بين البابوية والامبرطورية على السعواتي * الصراع على السلطة بين الكنيسة والحكام ،

يروي برترند راسل في التاريخ لأوروبا منذ عهد جريجوري « السابع حتى منتصف القرن الثالث عشر حول صراع في سبيل سلطة بين كنيسة من

١- أنظر قصة نظفارة جدا مجلد ٤ عدد ١٤ ص ٣٩٥ ر.ل. ديروالت ، أوروبا المصور ترمي

جا ص ٣٤٨ عاشور تاريخ ألمانيا ص ٣٥ ، بتصرف يسير.

ولا يعاكم على تصرفاته وذلك مالا يرتضاه هائله الذي إراد ، أو تصرف

٢- أوروبا المصور الوسطى - عاشور جدا ص ٣٤٩ بإيجاز

٣- الحركة البابوية جدا ص ٢ بتصرف د/ سعيد عبدالمفتاح عاشور

جهة والملوك لعلمانيين من جهة أخرى^{١١} . وقد بدأت حركات هذا الصراع سنة ١٠٧٦م قبل الحركة الصليبية بسبع وعشرين عاماً^(١٢).

وقد حدثت كل من لياوية والإمبراطورية جميع قواها وإمكاناتها للتعلم على الطرف الآخر.

وشتات الظروف أن يتطور هذا الصراع بين البابا - جريجوري السابع وبين الإمبراطور هري الرابع حول شخص بعض الأسقفيات شاذرة وبخاصة في شمال إيطاليا - حيث أصبح كل منهما أي البابا والإمبراطور - على أنه وحده له حق تعيين من يشعلون هذه المناصب . وتساك كل منهما برأيه لأنه يرى في انتصار خصمه تهديماً للبدأ الذي يسعى هو من أجل تحقيقه.

فالإمبراطور يرى أن هذا حقه الذي ورثه عن أسلافه ، والبابا يرى نظريته على أنه خليفة يسوع في الأرض ، وورث تقديم بطرس في لغرب . ومن هنا نشب النزاع . ثم تأزم الموقف عام ١٠٧٥م عندما عين الإمبراطور أسقفاً لميلان سنة ١٠٧٥م ، فأرسل جريجوري السابع رسالة في هري أسدرا فيها بالاعزل ، وهذا بائويل والقبور إن لم يخضع لأمر البابا^(١٣) ، وعلى نفس الوقت لارت ثائرة الملك فكانت الجماع التي عقدتها كل منهم ضد الآخر

١ - يقصد بالملوك العلمانيين الإمبراطور رمك مرسا والمجلى - بعض السياسيين انظر تاريخ الفلسفة الغربية ج١ ص ١ ٢

٢ - بدأت الحركة الصليبية عندما اتفق مجمع كليرت سنة ١٠٩٥م وجد فيه البابا و أربعين القائلين الدعوة إلى جميع المسيحيين . وعين البابا إشارة الصليب على دراج كل منهم - وولذلك أصبح الصليب شعار هذه الحرب . انظر حركة الصليبية ج١ ص ٢٥٢ تاريخ العصور الوسطى في الشرق والغرب د . حسن إبراهيم - د / أحمد الصادق طبعناوى ج٢ ص ١٧١ ، سنة ١٩٢٢م .

٣ - دور العصور الوسطى ج١ ص ٢٥٢ وما بعدها ، يتصرف انظر قصة الحضارة ج٢ مجلد ٤ هذه

مجمع ورمل سنة ١٠٧٦ م :

بدأ هنري الرابع لتعقد مجعاً في ورمل يناير ٧٦ م وفيه قرر بالاتفاق مع أربعة وعشرين من الأساقفة :

- ١ - إعلان انتداب البابا جريجوري السابع وإتهامه بالفسق والقسوة ولصح
- ٢ - عزله من منصبه

وبعث لذلك إلى البابا بهذا القرار من هنري لذلك بأمر أنه لا يلاحظ انتداب إلى هيراند الرهبان الذي لا لبابا

وسلحت الرسالة إلى البابا في مجمع عقدته هو لآخر - على أثر مجمع لذلك في ٢١ لبرير ١٠٧٦ م قرر فيه لبابا :

- ١ - توقيع قرر اخراجه على هنري الرابع وعزله من منصبه.
- ٢ - تحرير جميع رعاياه وأتباعه من أيدي طاعة وبتحية لتي ألتزموا له وهكذا بدأت حرب مدبرة بين هذين - ونص الامراء والأساقفة - في ألمانيا - إلى صف بابا وعقدوا مجعاً في أكتوبر ٧٦ م قرر فيه :
- ١ - الخروج عن طاعة هنري الرابع

٢ - ابتداء باعتذار ملك غيرة على البابا إن لم يعط له بابا في مدة أقصاها ٢٢ فبراير سنة ١٠٧٧ م .

٣ - يقضى ائتمنة بين أكتوبر ونومبر في أحد لأديرة محروما

٤ - دعوة لبابا إلى ألمانيا ليقول كلمته بحضور الامراء لأدن.

هكذا يرى ما حصل إنريد الحال بين لكيسة - محنة لى البابا والإمبراطورية - وكنت الضربة انتى أمر لته البابوية بالامبراطورية . . في «كافوسا» عتدوا ذهب لذلك إلى البابا حافى بقلمان يتدلل به طالبها المعصرة .

حيث قبل الباب تويجه بعد ثلاثة أيام من تدليه ورفع عنه قرر الحرمان . ولكن النزاع استمر بين البابا مرة أخرى ^(١١) ، وأحدث الامبراطورية والبابوية بين بلد وجزر حتى عقد الأمر . مجمعا آخرى «فورجا» في سنة ٧٧ م^١ . فبروا فيه عمل هنري الرابع من اعترش واختيار رودف ، إعادة توقيع الحرمان على هنري وإقصائه عن العرش ..

لما كان من هنري إلا أن رد على باب عقد مجمع لن «بركم» يومه ٨٠ م^١ . وقرر فيه : عزل الباب جريجوري السابع وحرمانه من الكنيسة وانتخاب : «جيبيرث» ليخلفه في منصب البابوية.

وهكذا تمكّن المؤلف وشتدّ لنصال بعد أن وجد هنري المسرح اثنان من البابا ريتاردان الكرسي البابوي - ولما من الملوك يتجافون عرش الامبراطورية ^(١٢) .

وظلت حرب التقليد اعمداني قائمة حتى بعد وفاة جريجوري السابع سنة ٨٨٠ م^١ ، وهنري الرابع سنة ١١٠٦ م^(١٣) .

ويصور هذه الحلقة من الصراع بين الكنيسة والسياسة برتراند راسن فيلول : كانت بابوية جريجوري السابع قد انتهت بكارثة في ظاهر الأمر ، غير أن سياسته قد استؤنفت بشئ من التعديل على يد «أريمان» في سنة ٨٨ م^١ . أدى أعاد إصدار الأوامر على تحريم على غير رجال الدين من تنصيب الأساقفة . وأراد للاتحاد بالأسقفية أن تتم مرة من رجال الدين والشعب

١- تاريخ ألمانيا من ٣٥٠ وما بعدها - موجز تاريخ العالم من ٢٢٤ وما بعدها - أوروبا المعصور الوسطى ج١ ص ٣٥٥ - ٣٥٧ - عاشور

٢ - الفترة النضالية من شرح حال الكنيسة من ٢٤٩ - ٢٥٢ ، قصة الحضارة ج٣ مجلد ٤ عدد ١٤ وما بعدها - وأوروبا المعصور الوسطى ج١ ص ٣٥٨ وما بعدها - عاشور

٣- تاريخ ألمانيا من ٣٧

وفي مجمع كليرمونت سنة ٩٥٠م على ركن الحرب الصليبية التي
أحدثت موجة من الحماسة الدينية دت في إردباد سلطنة البابا وقصى أريدن
أحرسة من حياته في روما . وهي البلد التي قلما يكون فيه الهاربون أصيين^(١)

ثم كان البابا . «باسكال الثاني» سنة ٩٩٠م الذي أصدر قرارا لحرمان
مرة أخرى ضد هتري الريح . فلما كان منه إلا أن استسلم لهتري لخمس سنة
١١٠٥م بهادى أبهى فأحد يلا الأسقفيات بشجرة في لامبراطورية وفي هواء دون
لرجوع إلى رأى البابا . . بهذا استمرت مشكلة التقديد العلماني . حتى كانت
معاهدة لصح بين الطرفين عام ١١١١م والتي تنص على

١- أن يتدزل الكنيسة من كل مالها من أرضي . وحقوق . قضائية ، وقضائية
حصلت منها من أيام شرلمان مكتفين بالتشور . ولها يتخرج به الآخرون .

٢- في مقابل ذلك . تنهى مصلحة إمبراطور في التمسك بتقليد الاساقفة
ويترك هذا الحق لبابا وحده

ومعنى هذا أن لا يكون للإمبراطور حق تنصيب الأساقفة على أن يتدزل
لأسقفية وروما الأديرة مقابل ذلك من أملاكهم الدينية
وسكن .

هذه الاتفاقية لم تكن تعلن حتى ثارت ثائرة رجال الكنيسة على البابا
وصار انقش والذبح من شوارع روما - وألقى هتري لخمس لقبض على البابا
ولكر دلة وأجبرهم على الرضوخ في مسألة التقديد العلماني . ولذلك إنتصر
لأبيه .

ثم ما كان من لباب الا أن نص هذه الاتفاقية على أساس أنها تمت تحت
تأثير الصلف والإرهاب حتى جاء البابا « كالكستس الثاني » سنة

١- أنظر تاريخ الفلسفة الغربية ج٢ ص ٩-٢ وما بعده بويجار

١١١٩م - ١١٢٤م ، فعقدت المجامع البابوية المسكونية لإنهاء الصراع فكانت إقفالية ومرت سنة ١١٢٢م التي تمت في المجتمع للاتراني في لأول -التاسع المسكوني - سنة ١١٢٢م فأنهت دور لأول لسراع ايبابوي الإمبراطوري (١)

* الدور الثاني من الصراع

ثم بدأ الدور الخطير في الصراع بين الكنيسة وامتلاك ولأباطرة حيث اشتطت البابوية في لعمليات فأصدرت ما يسمى بصكوك العفون وعصمة البابا .. ومحاكم التفتيش

تلك المبادئ التي جعلت من نظام البابوي نظاماً سهياً للعامة حتى قال صاحب الدرة النعمية ، في أوائل القرن ثاسي عشر كانت سيئات انبهاوات لم ازدهرت وتماقت جدا ، وحادثة الكنيسة بعربية قد وصلت إلى الذلل وانهون (٢)

والصحيح في ذلك أن الكنيسة بعربية تعتقد أن كاهن رومية لأعظم هو حنيفة المسيح وفسر الوحيد للكتب المقدسة والأخبار ولنبوت الإلهية ، وتقمع بأن حل المسائل وفصل المشاكل الحادثة سراً ، أكانت في حق الدين المسيحي أم في حق الإنجيل ، يهود نيه وحده

لذلك كان ملجأ ندير المسيحي ومستنده في نظر الكاثوليك هو الجهد الأعظم - البابا - فكل ما قرره جدد رومية لأعظم جالس في كرسى خلافة البطريركية ، فهو قطعي فحجب طاعته ، لأنه قد رعب انصصه من عهد الله ، فبيده جل الأحكام - وتشرعها - وهذه أصبح البابا في كل دور شارعاً كما يهوى ، وغافرا للذنوب كما يريد ويشتهي ،

١- الدرة النعمية في شرح حال الكنيسة من ٢٦٣ وما بعدها تاريخ الفلسفة الغربية ج٢

من ٢ ٢ أنظر أوروبا المصير البوسفي - عاشور ج١ من ٢٦٣ وما بعدها بيهجاز

٢ الدرة النعمية في شرح حال الكنيسة ، من ٢٦٧

ومن هنا أصبحت التشريعات لعبة سياسية تلعب بها أيدي السطرن البابوية بكل جرأة والطلاقة^(١).

ومن هذه السلطة التي استخدمها البابا - أدخلت البابوية على المسيحية ما ليس منها - وردت سيثتها نتي لمحدث عنها أصحاب التاريخ لكنسى

وكان مما أدخلته لبابوية على المسيحية ما يعرف بالعشاء الرباني^(٢) - وما يعرف - بفقرن الدروب أو صكوك لغفران.

* أثر البابوية في النصرانية :

١- العشاء الرباني :

يقول مؤرخ الكنيسة كد من هذه التبعات - ما أدخله البابا باسكال لثاني - من مودة المسيحيين لأسرار الإلهية تحت شكل الخبز وحده - وكانت هذه لفظة موجودة عند بعض لكهنة من قديم لزمان^(٣) ، بأن يقيموا جسده لرب في بدم لكرهم ، وهكذا يورعونه على شعوب تكميلاً بسر الشركة ، فأرد لبابا باسكال لثاني أن يخلص هذه لفظة - فكتب رسالة إلى رئيس دير بأمرة بإعطاء اشركة تحت شكل كل من الخبز والخمر عنى حده وهكذا استثمرت هذه لفظة في الكنيسة إلى الآن.^(٤)

١- أنظر عقائد - مقدرة بصورة الحور - بين القرآن والتوراة والإنجيل من ٢١٤ بيهجار ومصرف.

٢- العشاء الرباني هو الخبز والخمر يذبان بأكلهم الشبهى فيتمحلان في داب لاهوت لمسيح ومحوه في وعدهم - فسمى « سر خدح » ر الأسرار الزهية لرد ذهجة الاستعداد وغير ذلك من الأسماء التي ليست من الكتاب المقدس بل إلى وبهذه الاعتقاد بالاستحالة أنظر المشاء الرباني من ٨ عرض سمعان

٣- بقوله القس عوض سمعان كان ماول الخبز والخمر معاً من العادات المألوفة لدى يهود قديماً فكانوا يذرونها عند مراساة من داب به قريب أو صديق ، وقد نهوا عن ذلك كما جاء في سفر

أرميا ١٦ ، ٦ ، ٧ - أنظر العشاء الرباني من ٩

٤- الأبر النقيية في شرح حال الكنيسة من ٢٦٧ وما بعدها

والى الآن يعتقد الكاثوليك والارثودكس بأن الخبز والخمر يتحولان بطريقة سرية إلى ذات لاهوت المسيح وباسوته وذلك مع بقاء الخبز والخمر كما هما في اشكل واللون والطعم والرائحة فالتحول لدى يحدث في «عشاء الرباني» حسب اعتقادهم هو تحول لمعنى لا معنوي عاية ، الأمر أنه غير مدرك بالخوس البشرية وأن العشاء الرباني له فاعمية ذاتية ، أى فاعيته مستمدة من ذاته وليس من متوقفة على إيمان تدين بقدره أى أنه مثل النار من خاصيتها الاشتعال وهذه اللاعلبية هي صبح لدين يساولون منه الفسرن واخباية الأبدية .. والتصنيع بحلول المسيح في عرسهم^{١١}

ولم يقتصر الأمر عند هذا الوصف بل ن لباب « هثوريوس » تحت تأثير الكاردينال « ويدو » لرد أن بحث « رباني لا يستحيل فقط إلى باسوت المسيح بل ربي لاهوته أيضا ، وذلك أصبح لكه من كمال لها « أريان » هو لدى يحصل لمصبح ويقدمه له ذبيحة كقارية عن باس ، ومن ثم أحد معظم القائلين بالاستحداية يقدمون لسجود للعشاء لربى^{١٢}

وأى أرى لى ذلك استحداية بانقل بل رولاء له ، وقد جعله له هيردبا يهر لإتسان به فأنظر كيف حدثت انبوهه ما جا ، به لمصبح وكيف أحدث لى

١- العشاء الرباني من ٣٠ ، ٣١ القس هوهن سيمان.

٢- لسند السابق من ٢٤٢ كيف يتم التحويل عن نكتبه من القسيس بأمر عادية من يصح له فطيرة من سميد صالة ويظهرها رباني بكبر مع رجاءه خير إلى الكنيسة وبأمر القسيس يضرب بالافوس جميع التماس للصلاة غدا ، وغفر صما يصحب شيخ من كسر لى كأس ويحمل تلك الفطيرة لى مذهبى مع يشهد ويستقبل القسرى ويأخذ الفطيرة من يده ويقرأ عليها ما يصح هيسى «مسيح من لينة خذنه يهبره أحد الخير بهبه إلهاركة ورجع هينيه نحو السماء» إلى القادر على كل شى بعد التمجيد وأطعم آخر ريين كسره وقال لهم : كفو هذا جسدى وحين يتم القسيس كلامه ذلك يسجد بتلك الفطيرة حب منه أنه جسد هيسى وكذلك يفعل مع كأس الخمر

أنظر عقائنا من ٢١٩ وما بعدى بزيجار وتصرف

الذين ما ليس منه ؟ فالصحيح لم يأمر تلاميذه بالسجود لشيء إلا لله .. كما قالت
أنا جيلهم ... وكما أمرت وصاياهم : « للرب إلهك تسجد .. وإياه وحده
تعبد » (١).

وكما جاء أيضا « لا تصنع لك تمثالا ولا منحوتا ولا صورة ما .. لا تسجد
لهن ولا تعبدهن » (٢) .. فليس هناك أساس لهذا السجود في الكتاب المقدس
على الإطلاق (٣).

هكذا ترى ما أدخل الباطل في عقيدتهم .. ولا ندري بأي عقل يفكرون ؟
وما مصير هذا الذي يأكلون ؟ وهم يعلمون ماذا يرجع المأكول والمشروب .. ألم
يتدد به إنجيلهم بقوله : « أما تفهسون أن كل ما يدخل الفم ينزل إلى الجوف
ويدفع إلى الخارج » (٤).

وإن تعجب : فعجب قولهم « لم يكنهم أن يجعلوا الله ثلاثة : فجعلوه
ملايين عدة .. فإن قطع الخبز تقسم كل منها إلى أجزاء بعدد الحاضرين في كل
كنيسة ويصبح كل جزء منها كذلك مسيحا ، إلهيا وإنسانا ، وثلاثة أقانيم.

هل وتصور قداس الخبز والخمر ، يحصل في وقت واحد إلى ملايين مضاعفة
في أمكنة متعددة .. إن التشليث بإزاء ذلك شيء حقير جدا ، وإذا كانوا يأكلون
والله مرة في كل شهر على الأقل : إن لم يكن عشرات .. بل مئات المرات ،
فكم يكون بذلك عدد الآلهة ؟ بل أين مصير هذه الآلهة في الأحشاء والأمعاء ،
وما داموا يعتقدون أن الذي يأكل الله يثبت فيه كما يقول إنجيلهم « من يأكل
جسدي ، ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه » (٥).

١- إنجيل متى فصل ٥ : ١٠ .

٢- سفر الخروج فصل ٢٠ : ٤ - ٥ .

٣- العشاء الرباني مرجع سابق هامش ص ٢٤٢ .

٤- إنجيل متى ١٥ : ١٧ .

٥- إنجيل يوحنا فصل ٦ : ٥٧ .

وإذا كان كذلك فما معنى أكله مئات المرات ما دام قد ثبت فيه لأول مرة ..
إن من أيسر الأمور على الراهب الناسك أن يعيش على الخبز أو الفطير الذي
يحوله متى شاء بإرادته السحرية إلى الله تعالى صباحا وظهرا ومساء . ويسجن
الله سبحانه في أمعائه ما عاش (١).

وصدق الله في وصف حالهم هذا : « مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِإِهَانِهِمْ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » (٢).

٢- بدعة " صكوك القفران " .

ولم يكتف بهابرات روما - وقد انهال عليهم الذهب ، وأغرقتهم العطايا ،
وعاشوا حياة الترف والملاذ ، وزفلوا في الحرير ، وتحلوا بالذهب ، وصدق فيهم
قول الحق جل شأنه : « إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْيَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ
بِالْخَاطِرِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ... » (٣).

لم يكتفوا بهذا التعريف ، ولا بذلك التفسير ... ولكنهم ذهبوا إلى أبعد
من ذلك حيث فرضوا سلطانهم على الناس جميعا .. عامة وخاصة .. فأصدروا
بدعة أسموها : صكوك القفران .. تبيح لمن يشعر بها أن يضمن لنفسه ولن مات
من أسرته وأقاربه وأصدقائه مساحة يحددها من الجنة بمقتضى عقد بإمضاء
البابا (٤).

وكانت الكنيسة تقوم ببيع هذه الصكوك .. حيث كان البابا يرسل رسلا من
لديه يبيعون صكوك القفران للمذنبين .. فكان كل يشتري هذه الصكوك حسب
مقدوره .. وأنشط الناس في البيع حتى صاروا يشترون هذه الصكوك لتخفيف

١- المسيح والتثليث ص ١٤٨ وما بعدها .

٢- سورة الكهف آية (٥١) .

٣- سورة القوبة من الآية (٣٤) .

٤- الرسائل الكبرى ، سيرة قراءة ص ٣٣٣ ، مطبعة دار الشعب ، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

عذاب موتاهم ولغفران ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر ، وشجعهم الكنيسة على ذلك لما يعود عليها من الأرباح الطائلة .. وظل الحال على ذلك حتى أصدر البابا - لير العاشر - في مارس ١٥١٧م أشهر مذكور الغفران حيث كان في حاجة إلى المال لبناء كنيسة القديس برنما (١١) و (١٢).

٣- رد الفعل وظهور المناوئين والمخالفين لتعاليم الكنيسة البابوية :

بعد الذي أحدثته البابوية في القرن الثاني عشر - ظهر من ينادي بأن تعاليم الكنيسة الرومانية مخالفة لتعاليم المسيح وغير مطابقة لما جاء به.

ففي سنة ١١٧٠م ظهر في فرنسا رجل اسمه بطرس ولده - كان منعكفاً على قراءة الكتاب المقدس ومطالعة - حتى أمكنه ترجمته إلى اللغة الفرنسية ،

١- معالم تاريخ أوروبا الحديث ص ٣٦ ، قصة الحضارة ج٣ مجلد ٦ عند ٢٤ ص ٣.

٢- سنة الغفران الإلهي أو سنة الغفران تصد ، و ريتا يسوع يا فلان - تلك استحقاقات الإله الكلية المقدسة ، وأنا بالسلطان الرسولي أملاك من جميع القصاصات والأحكام والطاقات الكنسية التي استعجبها .. وأيضاً من جميع التلويضات والمخاطبات والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وقبيحة ومن كل علة ، ولئن كانت محفوفة لأبنا الأقدس - البابا - والكرسي الرسولي .. وأمحر جميع أقدار النجس .. وكل علامات الملامة التي جلبتها على نفسك في هذه الفرصة ، وأرفع عنك أنواع القصاص وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة .. وأردك ثانية إلى النظافة والنهر الذين كانوا لك عند محمود يملك حتى أنه في ساعة الموت يخلق أمامك الباب الذي يدخل منه خطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويضع الباب الذي يزدى إلى قودوس الفرح ، وإن لم تفت سبيح طويلة لهذه النعمة خير مغفورة حتى تأتي ساعتك الأخيرة باسم الآب والابن والروح القدس آمين - الأخ يوحنا تنزل قد أمضى ذلك بيده (٢) : ص٢١٥ ، ٢١٦ ، وسماخرات في التصارلية ص ١٩٥ ، أنظر قصة الحضارة ج٣ مجلد ٦ عند ٢٤ ص ٤ ترجمة د. هبة الحسيد بونس.

ويوحنا تنزل ، ولعب دونكي كان يبيع هذه المذكرة إذ كان هذا عمله الرئيسي منذ عام ١٥٠٠م واكتسب شهرة ومهارة في جمع المال ، يمازته القصاصات والحكام الذين كانوا يرفعون الأعلام والصنوج ويرتلون الأناشيد ويرقصون نشرة ملك الغفران عالية إذا دخل يوحنا أو «جوهان» تنزل أي مدينة ليرجع هذه المذكرة. قصة الحضارة ج٣ مجلد ٦ عند ٢٤ ص ٤ مرجع سابق.

وفي سنة ١١٧٠م ، شرع يصدر بتعاليمه ويبرهن على صحتها ومطابقتها لكتب العهد القديم والجديد متادياً بأن تعاليم الكنيسة الرومانية هو مخالف وغير مطابق لما يعلمنا إياه الكتاب المقدس من العقائد ويأمرنا به من الرصايا ، وحصر تعاليمه في المبادئ التالية : (١)

١- حصول الإنسان على النجاة يجب التعميل على الكتاب المقدس حيث يتضمن كل شيء .

٢- أن الاقتضاء والاستعانة بالقدسين والاستشفاع بهم في نيل النجاة لا فائدة منه .

٣- أن المظهر اختراع من الإكليروس فطبع ، غايته نوال الأرباح وجمع الأموال .

٤- لا اقتضاء لما يقوم .. من القديسين عن أرواح الراقدين - الموتى - بقصد حصولهم على النجاة فإن غاية ذلك إنما هي ربح «الإكليروس» .

٥- إن مناوله الشركة تحت شكل الخبز وحده هي مخالفة للشرعة .

٦- أن الغفرانات البابوية «صكوك الغفران» هي اختراع غايته اجتباء الأموال ، وأن رئاسة البابا يجب هدمها واستئصالها لأنها مضادة لتعاليم الإنجيل .

وأخذ بطرس هذا ينادي بتعاليمه التي تخالف تعاليم البابوية مبيناً أن السلطة الدينية هي من عند الله ، ويرفض كل من يخالف الشرعة من أعمال الرذيلة - كالعصيان والمروق - والسكر .. والدعارة والسرقمة .. فانتشرت تعاليمه ولقب أتباعه بالوالديين نسبة إليه (٢) .

من أجل ذلك عقد البابا الاسكندر الثالث مجعلاً في اللاتران - القصر البابوي - ١١٧٩م ، وذلك ليفض على هذه التعاليم الوالدية التي تخالف تعاليم البابوية .. وليدرس مسألة انتخاب البابا .. فقرر الجميع مايلي :

- ١- أنظر الكنيسة المتفردة ص ١١٣ ، تاريخ الفلسفة الغربية ج ٢ ص ٢٢٨ ، الدورة الثانية ص ٢٢٠ .
- ٢- الدورة الثانية في شرح أمثال الكنيسة ، ص ٢٧ ، الكنيسة المتفردة ص ١١٤ وما بعدها .